الأثر في الإسلام

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العددان التاسع والعاشر - المجلد الثالث - ١٤١١/١٩٩١/

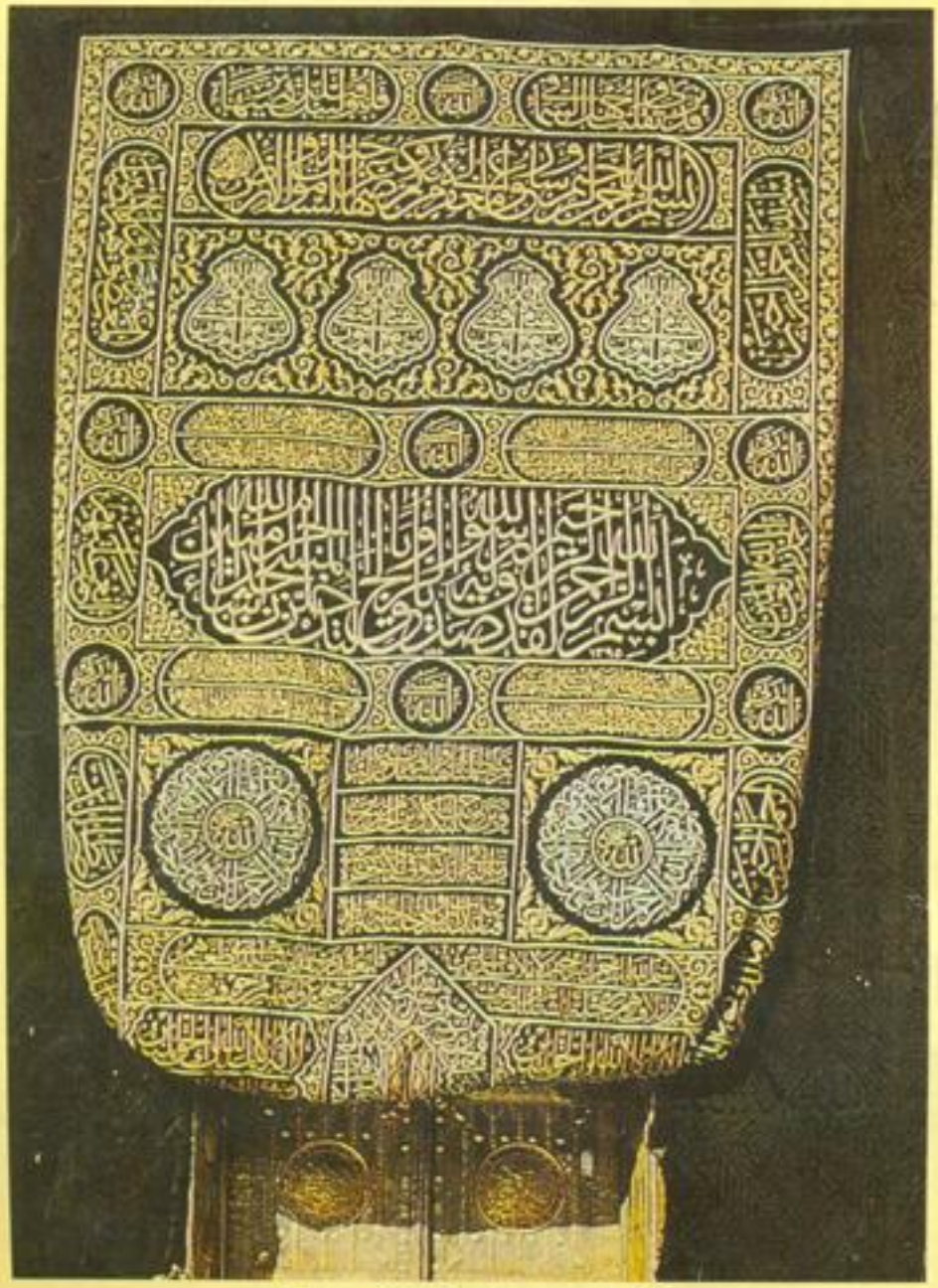

كسوة الكعبة الشريفة

(٩-١٠)

خازن المعلومات
مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الموسم

فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة

Shiabooks.net

تصدر عن دار الموسم للإعلام
بيروت ـ لبنان ص.ب ١١٣/٥١٤٤

صاحبها ورئيس تحريرها
محمد سعيد الطريحي

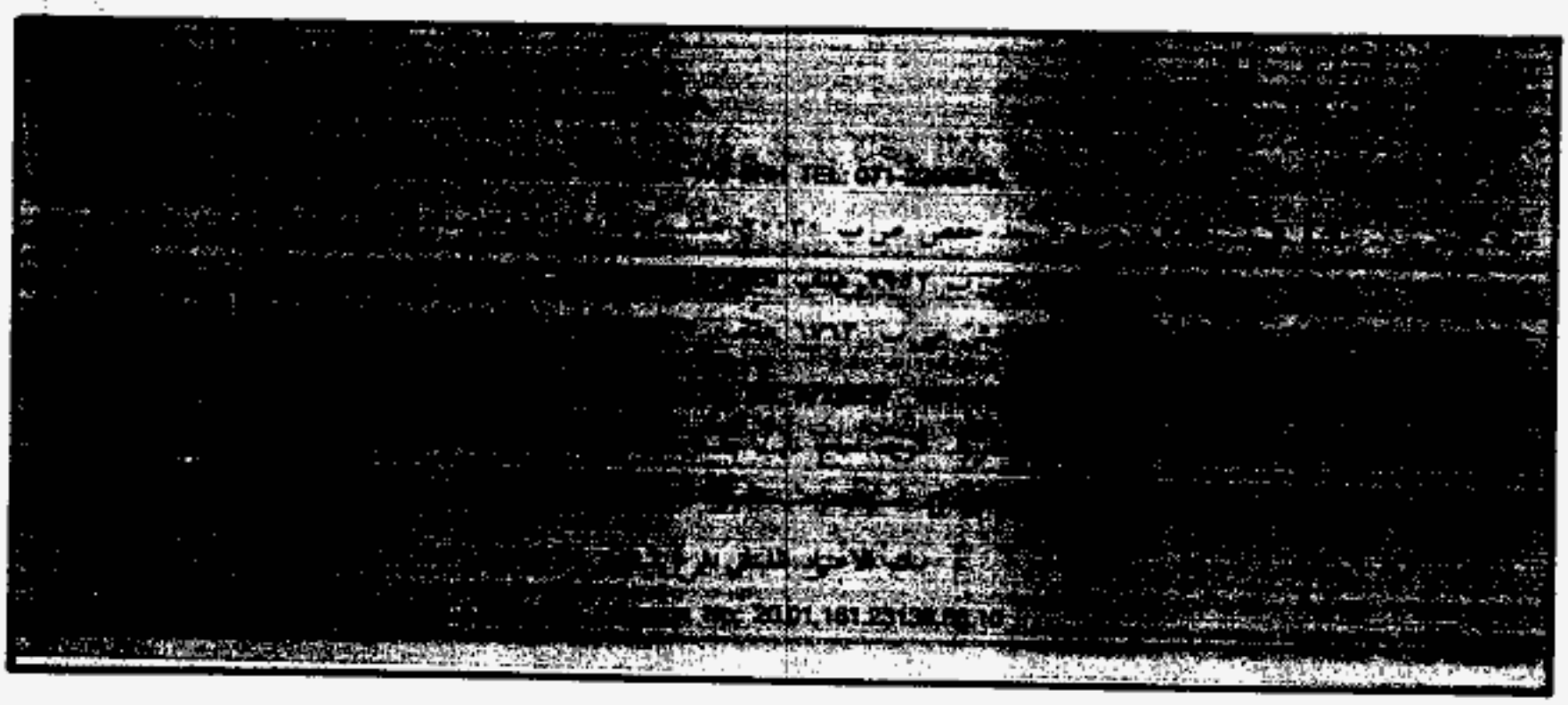

دور النجف

في تاريخ العراق السياسي الحديث

(من عام ١٩٠٨ الى عام ١٩٥٦)

بقلم: طالب علي الشرقي

عرفت النجف بمركزها الديني البارز منذ القرن الخامس الهجري ولم يعرف لها مركز سياسي واضح إلا في القرن الرابع عشر الهجري . وقد حدثت عدة أمور تدخلت فيها النجف تدخلاً مباشراً وغير مباشر على يد علمائها الأعلام ، مما جعلها تحتل مركزاً مرموقاً في سماء السياسة المحلية والدولية في بعض الفترات . وقد أشار الاستاذ علي الخاقاني الى أبرز تلك الأمور . فذكر قضية تحريم التنباك لمكافحة الامتيازات وشركات الاحتكار الأجنبية في ايران ، وكانت النتيجة خسارة الشركة والغاء امتيازها . وذكر كذلك أثر فتوى علماء النجف على نفوذ السفارات الأجنبية وذلك بالضرب على أيدي الايرانيين الذين رفعوا العلم البريطاني في كربلاء طالبين التبعية الانكليزية . وتحدث عن قيام حركات سياسية مهمة في هذه المدينة عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م تديرها هيئة من العلماء لتأييد الانقلاب في ايران وازدياد نشاط تلك الحركات عند اعلان الدستور العثماني في نفس السنة . وكان من نتائج ذلك اعدام الميرزا فضل الله لموقفه المعاكس لهم ، وإقصاء محمد علي شاه وتنصيب ابنه أحمد شاه مكانه . ووصلت بهم الحال الى ارسال الفتاوى برقياً بتواقيعهم الى السلطان عبد الحميد ، ومحمد علي شاه بوجوب التخلي عن عروشهم .

وأشار كذلك الى قيام جبهة تضم الهيئة العلمية وفرع حزب الاتحاد والترقي في النجف . ولما تجاوزت روسيا على حدود ايران الشرقية أعلن علماء النجف الجهاد والسفر الى ايران . فضربت أطناب المجاهدين في خارج السور ، وجمعت الأموال والأجهزة الضرورية للسفر . وعند فجر اليوم الذي أزمعوا السفر فيه فوجئوا بموت كبير العلماء ، ورأس الحركة الشيخ ملا كاظم (الآخند) فأرجىء السفر ، وقوضت خيام المجاهدين .

الشيخ الاخوند الخراساني

وفي عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م أفتى علماء النجف بوجوب الدفاع عن ليبيا عندما احتلتها ايطاليا .

وتحدث أخيراً عن مواقفهم خلال الحرب الاولى واصدار الفتاوى بوجوب الدفاع عن حياض الوطن ، ومرافقة الجيوش في ساحات القتال ، وإدارتها على أحسن وجه[1] .

وعندما هزم الأتراك في بداية الحرب بمعركة الشعيبة تلك المعركة التي أسهم بها عدد من النجفيين ، استغل النجفيون هذه الفرصة فهاجموا الأتراك وحاصروهم فسلموا بعد ثلاثة أيام . فأخذ الثوار أسلحتهم وسهلوا لهم الانسحاب عن طريق الكفل وبقيت النجف من نيسان ١٩١٥ / ١٣٣٤هـ حتى آب ١٩١٧م/ ١٣٣٦هـ مستقلة استقلالاً تاماً تحت حكم شيوخ (الزقرت والشمرت» الأربعة[2] .

وكتب كثير من الباحثين في الحوادث التي جرت في العراق خلال فترة الاحتلالين ، وبالأخص في آخر سني التسلط العثماني وأول سني التسلط الانكليزي ، وانقسموا الى فريقين ـ على الأقل ـ فمنهم من يرى أن النجف تمثل مركز ثقل التحرك السياسي في العراق خلال تلك الفترة ، ويرى آخرون غير ذلك . ولأجل ايضاح دور هذه المدينة أقول :

كان العراق في مطلع القرن العشرين بلداً متخلفاً يرزح تحت وطأة التسلط التركي المعروف باللانظام ويعاني من سطوة الولاة والجباة . ولما تغيرت الوجوه تبين ان الخلف أسوأ من السلف . فتحركت في العروق الدماء الأبية وثارت النفوس المضامة وكانت بغداد والنجف من أهم مراكز الاشعاع الوطني في القطر .

إلا أن بغداد كانت تضم مجتمعاً خليطاً واسعاً يجمع أجناساً متضادة تغلب على أكثرهم نزعة (الأنا) . فالتاجر بتفكيره التجاري ، واليهودي بحقده وآماله ، والعناصر الوصولية التي حصرت تفكيرها في تسلم المناصب وكسب الجاه ، أسباب في شل تحرك أحرار بغداد اضافة الى كونهم الى يد القمع أقرب لقربهم من مركز السلطة . ومع ذلك فقد كان لأحرار بغداد أعظم الأثر في مجريات الأحداث ونتائجها .

أما النجف فهي كما وصفها الدكتور علي الوردي مؤلفة من صنفين من السكان (المشاهدة والملائية) وأراد بالأولى حملة السلاح وبالثانية يضاف الى ذلك ارتباط هذه البلدة بجمع من القبائل الفراتية ارتباطاً عقائدياً وروحياً .

ولشبابها المثقف وقدرته على توعية الجماهير وإثارة روح الحماس فيها أثر آخر ملحوظ . ولا تخلو هذه البلدة من طلاب الرياسة والمنافع الشخصية . وخدام المستعمر ، شأنهم شأن غيرهم في المدن الأخرى . إلا أن الناتج من كل ذلك نسيج سداه الوطنية ولحمته الدين .

نعود الآن الى أعوام ما قبل الحرب الأولى وما بعدها ودور النجف فيها . إذا تجاوزنا مجريات الأحداث اليومية خلال تلك الفترة لا بد من الإشارة الى أهمية وجود المرجعية الدينية العليا وتفاعلها مع حاجة الجماهير وتأثيرها الفعال في الأوساط التي تحترم مقامها ، وتحركها الفعلي في تلك الفترة معتمدة على نخبة

---

(١) مقدمة كتاب معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م لمحمد علي كمال الدين ص٣ ـ ٥ .

(٢) عبد الله فياض/ الثورة العراقية الكبرى ص١٥٧ ، ١٥٨ .

من الشباب الوطني المتحمس مما جعل النجف تعيش حالة غليان على جميع الأصعدة . يدل على ذلك ما ظهر من أنشطة حية في حياتها العامة . فكانت من أوائل المدن العراقية في إصدار الصحف اليومية (عام ١٩٠٩ ـ ١٣٢٧هـ) وخرائد أبنائها توضح الروح الوثابة للتحرر ومساندة حركات التحرر في العالم ، فوقوفها مع أحرار ايران[٣] وتركيا ، ونشاط حركة المشروطة والمستبدة فيها[٤] ، ووصول الصحف من الخارج اليها ، واعلان الجهاد ضد روسيا لتحرشها بايران ، والوقوف ضد ايطاليا للدفاع عن ليبيا يدل على يقظة أبناء ، هذه المدينة ، ونزوعهم الى الحرية ومحاربة التسلط .

ولعبت دواوينها دوراً فعالاً في توعية الجماهير ودراسة المواقف ووضع الخطط «وبث الدعاوة والتحريض ضد الادارة البريطانية في العراق»[٥] .

وقال الاستاذ جعفر الخليلي عن دواوين النجف ويسميها مجالس : «والمجالس كانت عنوان النجف منذ كان تاريخ النجف . وهي تمثل النجف تمثيلاً فيه الكثير من واقع البلد وحقيقته وأهدافه . وفي هذه المجالس كانوا يتبادلون الآراء والأفكار السياسية وفي هذه المجالس كانت توضع الخطط وتعد المناهج العامة ثم هي بعد ذلك أشبه بقاعة المحاضرات والدرس والمباراة الشعرية بل كثيراً ما قامت هذه المجالس بمهمة المحكمة ففصلت بين المتشاكين وتوسطت في حل المشاكل على قدر ما لصاحب المجلس من لياقة وقابلية . والمرتادون لهذه المجالس وإن كانوا من طبقات مختلفة ولكنهم كانوا عيون البلد ووجوههم لا يصلح غيرهم ان يمثل النجف تمثيلاً واقعياً في أفكاره وآرائه وما هي عليه من مواهب أدبية وفنية . والى مثل هذه المجالس يعود الفضل في بذرة الاستقلال ووضع أول خطة لكيفية المطالبة باستقلال العراق ومن هذه المجالس انبعثت فكرة ثورة النجف الاولى في وجه الانكليز»[٦] .

أما مصدر الأخبار والمعلومات التي تستمد منه تلك المجالس ما يهمها فهو «بعض الصحف التي تصل الى النجف من حواضر الشرق الاوسط أما المنبع الآخر الذي تستقي منه هذه المجالس أخبارها وترسل عن طريقه ما يدور فيها من مباحثات عن الأمور السياسية وغيرها فهم الجنازون»[٧] .

وكتب حاكم النجف السياسي في سنة ١٩١٨م ١٣٣٧هـ يقول : «وبالرغم من انعزال النجفيين فإنهم يستلمون ويوزعون جميع أخبار

---

(٣) في سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٧م قامت جماعة من علماء طهران بحركة تحريرية تهدف الى تحقيق العدالة والمساواة والحد من سلطة الشاه بايجاد مجلس يتقيد الحاكم بمقرراته فدعمت النجف هذه الحركة المباركة وساندتها بقيادة الشيخ كاظم الخراساني وما ان تبنت النجف هذه الفكرة حتى انعكست الآية فبعد ان تولدت في طهران اصبحت طهران وغيرها صدى للنجف التي هزت عرش الشاه وأودت به (محمد جواد مغنية/ مع علماء النجف الأشرف ص١١٣) .

(٤) أصبحت النجف في ذلك العهد مركزاً سياسياً مهماً وشبحاً مخيفاً بين عواصم العالم الاسلامية مما دعا ان يستنجد بها أحرار تركيا (محمد جواد مغنية/ المصدر نفسه ص١١٣ ـ ١١٤) .

(٥) عبد الله فياض/ الثورة العراقية ص٢٢٧ .

(٦) جعفر الخليلي/ هكذا عرفتهم ١ : ٣١٦ .

(٧) عبد الله فياض/ الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م ص٢٢٨ .

العالم التي يسمعونها من سبل الزائرين المتدفقين على بلدهم المقدس ولذا يستطيعون ان يتمتعوا بتأثير ضار يتعدى حدود بلدهم وحتى حدود العراق نفسها»[٨].

يضاف الى ذلك ما تركه رجال الدين (المشائخ) والمثقفون الذين يخرجون الى الأرياف من أثر فعال في نفوس أبناء العشائر وحثهم على الوقوف ضد الاحتلال باعتباره بمثابة القاعدة الصلبة التي استندت اليها المراجع الدينية العليا في اصدار فتاواها التي كان لها أكبر الأثر في إشعال نار الثورة ضد المستعمرين .

ثورة النجف :

بعد أن سلطنا الأضواء على مركز النجف بين مدن العراق ودورها البارز على مختلف المستويات ، قبل وبعد حرب الشعيبة تلك الحرب التي شاركت فيها النجف للدفاع عن قدسية الوطن ومقدساته ، نوجز الحديث عن ثورة النجف عام ١٩١٨م/ ١٣٣٧هـ.

لقد عاشت هذه البلدة فترة زادت على العامين تحت ظل حكم محلي بإدارة أبنائها «وكانت إدارة حسنة نالت إعجاب الناس سواء في داخل النجف أو خارجها»[٩] .

وبعد سقوط بغداد اتجه الانكليز الى تمكين جيوشهم وتسلطهم على جميع المدن والأرياف العراقية . وقد كانت النجف مصدر قلق لهم فأولوها على جميع المدن والأرياف العراقية . وقد كانت النجف مصدر قلق لهم فأولوها أهمية خاصة منذ زمن بعيد «فوجهوا رسلهم لدراسة أحوالها وكيفية السيطرة عليها فكرياً . ففي يوم ٧ مارس ١٩١١م/ ١٣٢٩هـ وصلت المدينة المس جيروترود بيل . كما كتب المقيم البريطاني في بغداد عام ١٩١٢م/ ١٣٣١هـ عن انتعاش الروح الوطنية والقومية في بغداد والنجف ، كما كتب المستر فيليب ايرلاند في كتابه عن العراق : ان مؤتمراً عربياً عقد في المحمرة عام ١٩١٣م/ ١٣٣٢هـ حضره شيخ المحمرة نفسه ودار البحث عن استقلال العراق ثم أرسلوا الرسل الى النجف لاستمداد التأييد منها وتهيئة الناس للحركة . وفي ١٩ مايس ١٩١٧م/ ١٣٣٦هـ زار المدينة السير (رونالد ستورز) وكان يتقن اللغة العربية فاتصل ببعض علمائها ووجوهها وأعضاء مجلس البلدية . .

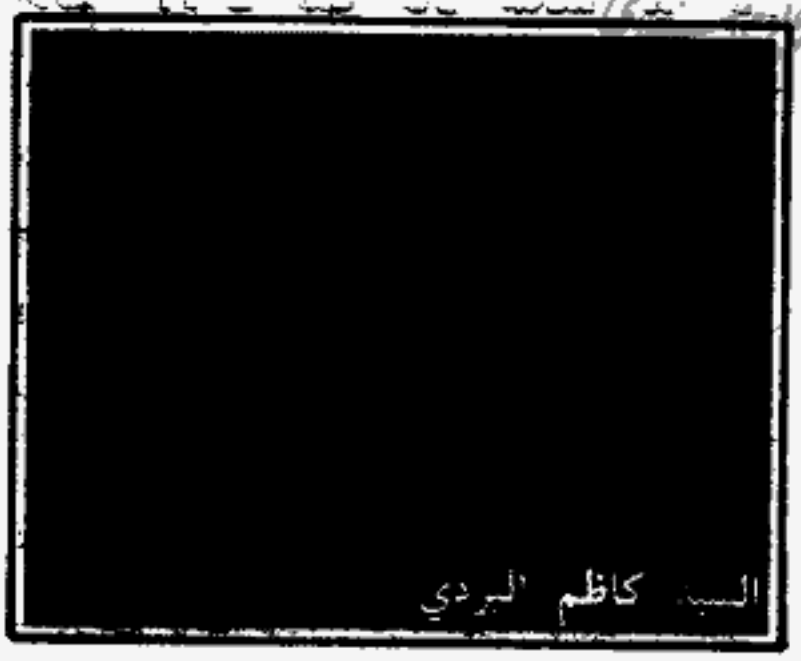
السيد كاظم اليزدي

وقابل السيد كاظم اليزدي المرجع الديني الكبير وقدم له ألف باون ليوزعها على الفقراء من طلبة العلوم الدينية فرفضها السيد ولم يتسلمها وفي خلال كانون الأول ١٩١٧م/ ١٣٣٦هـ زار المدينة السير برسي كوكس الحاكم العام في العراق لدراسة أحوالها ليتمكن من تقديم المشورة الى قائد القوات المحتلة في العراق بخصوص مدينة النجف»[١٠] .

---

(٨) نفس المصدر ص٢٢٧ .

(٩) عبد الشهيد الياسري/ البطولة في ثورة العشرين ص١٠٢ . وانظر فريق المزهر/ الحقائق الناصعة ١ : ٤١ .

(١٠) شاكر البرمكي/ مجلة دراسات عربية العدد السنة ٤ كانون الثاني ١٩٦٨ .

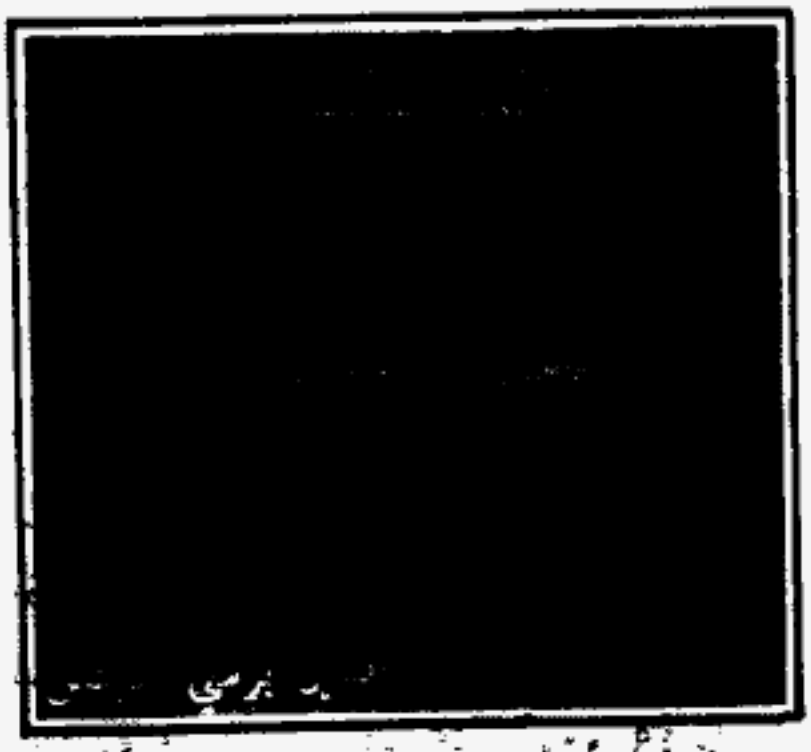

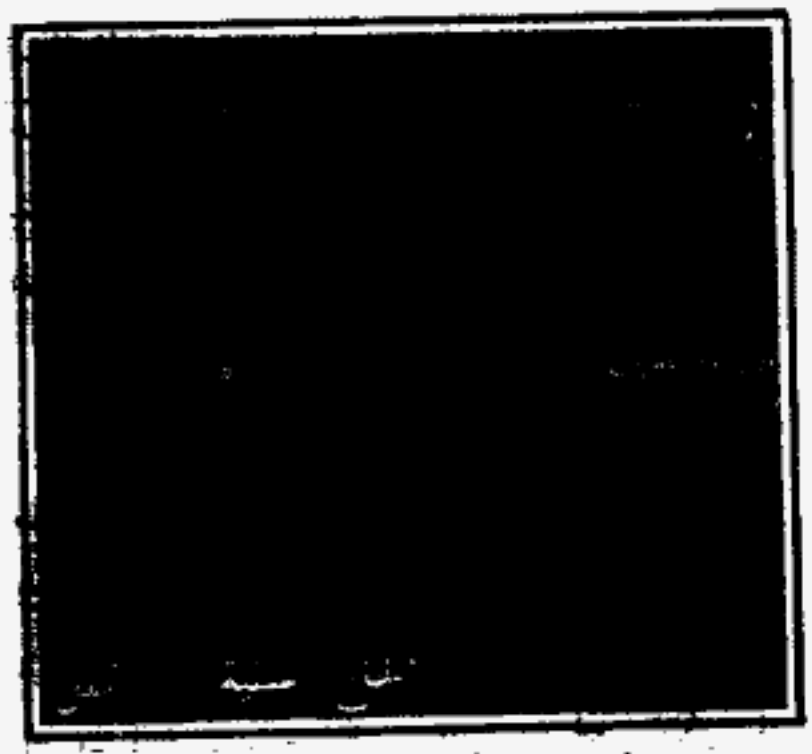

وأخيراً وجد الانكليز أنفسهم وجهاً لوجه مع هذه المدينة وهم يعلمون انها لم تعرف الرضوخ للحاكم المتسلط منذ زمن بعيد حتى ان حكم الأتراك فيها كان شكلياً لذا فإن المستعمرين يعرفون مسبقاً انهم سيواجهون موقفاً حرجاً في تحركهم نحوها حتى ان المس بيل صرحت بهذا بعد فشل ثورة النجف فقالت: «وعلى هذه الشاكلة انتهى ما كان يعتبر أدق موقف لنا منذ احتلال بغداد»[١١] .

وأول تحرك تجاه هذه البلدة كان تحركاً خبيثاً حيث مهد الانكليز لضمها الى منطقة نفوذ احتلالهم باسترضاء زعماء هذه المنطقة واستمالة شيوخها ونثر المال بين الناس نثراً[١٢] .

وعندما فكروا في إيصال قواتهم العسكرية الى النجف وضعوها في أماكن بعيدة عن البلدة لتحاشي الحساسيات التي يمكن ان تخلقها تلك الأجواء الجديدة أو «تتحاشى وضع القوات المسلحة في المدن المقدسة لئلا يسبب وضعها ردود فعل في الهند وايران»[١٣] .

إلا أن تحرش مجموعة من المسلحين من أتباع الشيخ (عطية أبو گلل) بالقوة الهندية التابعة لجيش الاحتلال والتي كانت تمارس بعض التمرينات في (منخفض بحر النجف) أدى الى دخول تلك القوة الى البلدة .

وفي ضحى نفس اليوم ظهرت في سماء النجف طيارة انكليزية فلم يتردد النجفيون في إصلائها ناراً حامية[١٤] .

«ولم يكن في استطاعة الانكليز ان يهضموا الإهانة التي لحقت بمفرزتهم الخيالة التي خرجت الى ضواحي النجف صباح يوم ١٢ كانون الثاني ١٩١٨م/ ١٣٢٧ لاجراء بعض التمرينات ولم يكن من المعقول ان يسكتوا على اطلاق الرصاص على طائرتهم التي حلقت في سماء النجف في ضحى اليوم المذكور»[١٥] ففرضوا على البلدة غرامة من المال والسلاح كما اتخذوا التدابير اللازمة لمواجهة البلدة بكل قوة وفي أثناء ذلك نشطت جمعية النهضة الاسلامية و(نشرت دعوتها بين القبائل المحيطة بالنجف

(١١) جعفر خياط/ فصول من تاريخ العراق القريب ص١٢٧ .
(١٢) عبد الرزاق الحسني/ ثورة النجف ص٨ .
(١٣) نفس المصدر ص١٦ .
(١٤) محمد رضا الشبيبي (مذكرات) مجلة الثقافة الجديدة العدد ٤ ص٢٩١ .
(١٥) عبد الرزاق الحسني/ ثورة النجف ص٢١ .

والكوفة وأبي صخير والشامية وبين حملة السلاح من أهل النجف وأصبح لهذه الجمعية جناحان أحدهما سياسي يخطط للثورة وآخر مسلح . وعمل الجناحان معاً لتوسيع نطاق الثورة حتى تشمل البلد كله . وفي أثناء تحركهم السري وصل الى علمهم تسرب المعلومات ومقررات الجمعية الى الانكليز . وكان الحاج نجم الدليمي (البقال) العضو الحربي العامل في جمعية النهضة الاسلامية قد عرف بذلك فقرر ان يفاجيء أصحابه بوجوب انتهاز فرصة زيارة عيد النوروز لقتل الكابتن مارشال حاكم النجف السياسي فيتخذ هذا القتل ذريعة للقيام بثورة يندلع لهيبها عند القبائل الداخلة في الجمعية وغير الداخلة التي سيحملها الكره لحكومة الاحتلال على مجاراة الثوار وبذلك تحقق أهداف الجمعية في التحرر من ربقة الاستعمار .

وفي ليلة يوم الثلاثاء الموافق ٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩ آذار ١٩١٨م اجتمع عدد من أبطال الجمعية وقرروا القيام بعملية قتل الكابتن مارشال ، وتم لهم ما أرادوا . وأعقب ذلك قتل شرطيين ومحاولة لقتل (بلفور) حاكم الشامية والنجف وجرد النجفيون أفراد الشرطة من أسلحتهم وهاجموا دار الحكومة القديمة في البلدة بعد فرار حاميتها وحراسها ونهبوا ما فيها من أثاث وقلعوا الأبواب وأشعلوا النار فيها[١٦] .

وكان منتظراً أن تستجيب القبائل المحيطة بالنجف لدعوة حمل السلاح المتفق عليها وإذا بهذه القبائل تحجم عن كل حركة في تنفيذ الخطة ، وتركت النجف تنوء وحدها بحمل ثقيل .

وضع بلفور خطة لضرب الحصار على المدينة وأمر بتجميع الجيوش البريطانية حتى بلغت لواءاً كاملاً فأسندت الى الجنرال ساندرز قيادته[١٧] وأغلقت السلطة أبواب سور المدينة وضربت عليها حصاراً أليماً مدة خمسة وأربعين يوماً وقطع عنها الماء الصالح للشرب وتركت لهم شرب مياه الآبار غير المستساغة . فاجتمع أعضاء جمعية النهضة الاسلامية وتدارسوا الموضوع من نواحيه المختلفة فقر القرار على وجوب الصمود والقتال على الرغم من أن بعضهم لم يكن راضياً عن هذه المجازفة من الأساس .

وهكذا انشطروا شطرين يقوم احدهما بواجب القتال وينصرف الأخر الى جمع المال وتوفير السلاح والعتاد وما لبثوا ان كرروا الاتصال برؤساء العشائر في الأرياف المجاورة يستحثونهم على مد يد العون والاسهام في هذا الواجب الديني والوطني ولكن كان دون ذلك خرط القتاد فقد اتخذت السلطات العسكرية كل الوسائل الممكنة لمنع كل مساعدة عن الثوار[١٨] .

وطال الحصار على البلدة ، وأشرف الأهلون على مجاعة لذا طالبوا السلطة بفك الحصار ، والعفو عن الثوار . إلا أن السلطة المحتلة فرضت لفك الحصار شروطاً هي :

١ ـ تسليم القتلة ومن اشترك معهم بالفتنة تسليماً بلا شرط ولا قيد .

٢ ـ غرامة ١٠٠٠ (تفكة) وخمسين الف (روبية) يجمعها الشيوخ المخلصون من محلات البلدة التي كانت لها يد في (الفتنة) .

---

(١٦) عبد الرزاق الحسني/ ثورة النجف ص٢٤ ـ ٣٤ .
(١٧) نفس المصدر ص٣٥ .
(١٨) نفس المصدر ص٣٥ ـ ٣٧ .

٣ ـ تسليم مئة شخص من المحلات الثائرة الى الحكومة البريطانية لسوقهم من النجف بصفة أسرى حرب .

٤ ـ تبقى البلدة تحت الحصار الشديد الى أن تسلم بهذه الشروط وتنفذها[١٩] .

وتم للسلطة المحتلة تنفيذ جميع الشروط . وفي ٣٠ مايس ١٩١٨م/ ١٣٣٧هـ سيق الى ساحة الاعدام أحد عشر شخصاً وتم اعدامهم في خان الحاج محسن شلاش في الكوفة[٢٠] ونفي ١٢٢ شخصاً من النجف الى الهند .

وقد أورد السيد الحسني أسماء المعدومين والمنفيين في كتابه ثورة النجف[٢١] . وكانت النتائج الآنية كما يقول الأستاذ شاكر البرمكي : «ردم فوهة البركان وخنقه والقضاء على ألسنة اللهب المتصاعدة ، ولكن جوف البركان بقي يغلي وحرارته امتدت في جوف الأرض الى مناطق الفرات الأوسط»[٢٢] .

ثمة أمر يستحق التعليق هو ان البعض يرى في ثورة النجف حدثاً آنياً خلقته الأغراض الشخصية . والحق ان هذا الحكم غير منصف وان كان بين صفوف الثوار مجموعة من العناصر الوصولية والنفعية (والأشقياء) والخارجين على السلطة . فالنجف من البؤر الحية في الحركة الوطنية العراقية وتأريخها خال من فترات الخمول منذ مطلع القرن العشرين . ثم ان العناصر التي ارتقت أعواد المشانق والتي استسلمت لسلاسل الحديد وعاشت النفي والتشريد أغلبها ذات ماض مجيد وسمعة طيبة وليس خافياً ان العناصر الخارجة على السلطة تكون السبّاقة لمقارعة السلطة . وأخيراً فإن هذه الثورة نتاج عوامل كثيرة وطنية ودينية ورد فعل لتصرف الحكام في هذه البلدة .

النجف تواصل المسيرة :

إن فشل ثورة النجف عام ١٩١٨م / ١٣٣٧هـ لا يعني مسح فكرة التحرر من أذهان الأحرار ، بل تبلورت الفكرة أكثر وكثر أنصارها ومريدوها . وبدأ العمل لتهيئة الفرصة المناسبة للانقضاض على المتسلطين . وكان لواء المعارضة والحض على الثورة بيد النجف طيلة الفترة التي سبقت ثورة العشرين وما بعدها .

لقد عارضت هذه المدينة وبشدة الاستفتاء الذي أرادته سلطة الاحتلال لاختيار الحاكم في العراق . وكان لعبة مفضوحة أريد منها تكريس الاحتلال وتسلط الانكليز لحكم العراق حكماً مباشراً .

ونظمت المضابط والرسائل للمطالبة بحقوق الشعب ، واستقلال البلد . (وعندما نشرت الصحف البغدادية في ٣ مايس ١٩٢٠م/ ١٣٣٩هـ بلاغاً رسمياً يشعر بوضع العراق تحت الانتداب البريطاني .. طبعت النجف على عجل عشرات ألوف المناشير في مطابعها الحجرية والحديثة تحض على الثورة ضد الانكليز وجرى توزيعها في جميع أنحاء العراق)[٢٣] .

---

(١٩) عبد الرزاق الحسني/ ثورة النجف ص٤٩ .

(٢٠) ذكر لي الاستاذ صالح شمسة : ان الاعدام تم في خان ميرزا محمد البهبهاني وليس في خان الحاج محسن شلاش. والمعروف لدى اهل الكوفة انه تم في خان الكرماني على شارع شط الكوفة .

(٢١) ص٧٨ ـ ٨٣ .

(٢٢) مجلة دراسات عربية العدد ٣ السنة ٤ .

(٢٣) حسن الأسدي/ ثورة النجف ص٣٨١ .

ونشط التحرك السياسي ضد الانكليز ، وكان للميرزا محمد رضا نجل الإمام الشيرازي دور بارز في الحركة الوطنية في كربلاء ، مما اضطر الانكليز لالقاء القبض عليه «فقامت في كربلاء والنجف مظاهرات صاخبة . . وقد استمرت هذه المظاهرات عدة أيام اشتد السخط خلالها على الانكليز»[٢٤] .

ولما صدرت فتوى الامام محمد تقي الشيرازي التي جاء فيها : (المطالبة بالحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الانكليز عن قبول مطاليبهم) جندت هذه البلدة طاقاتها وطبعت آلاف النسخ وأودعتها بأيدي الأحرار من أبنائها لنشرها في أنحاء العراق[٢٥] . وشفعتها بحملة واسعة من الدعاوة ضد الانكليز وحرضت العشائر على عدم الرضوخ لأوامر المحتلين .

وفي ٣٠ حزيران عام ١٩٢٠م/ ١٣٣٩هـ

اعتقلت القوات الانكليزية رئيس عشيرة الظوالم الشيخ شعلان أبو الچون الذي اختلف في وصفه المؤرخون فمنهم من استبعد علمه المسبق بالثورة[٢٦] ومنهم من عدّه من الأقطاب الذين أقسموا على الاشتراك في الثورة ضد الانكليز[٢٧] فثارت الرميثة بعد اخراج شعلان من المعتقل وكانت عشائر الشامية على اتفاق مع الثوار[٢٨] وكان ذلك بمثابة الشرارة الاولى التي انطلقت منها ثورة العراق الكبرى[٢٩] .

وعند وصول خبر الرميثة الى النجف قامت بطرد الحامية الانكليزية وتبعتها الى الكوفة وحاصرتها هناك وصارت النجف عاصمة الثورة منذ البداية حتى النهاية[٣٠] .

وتلاحمت قوى الثورة الخيرة في ساحات الشرف . وامتدت حركة التحرير في طول البلاد وعرضها . إلا أن ظروفاً خاصة رافقت الحركة أدت الى انهيار بعض الجبهات وانسحاب أثر ذلك الانهيار على الجبهات الأخرى ، وسلوك الانكليز مختلف أساليب الغدر والخيانة وشراء الذمم ، وبالتالي أُلقي السلاح قبل اتمام المهمة والوصول الى الغرض الذي من أجله روّت دماء الشهداء أرض العراق الحبيب .

ولعبت الدبلوماسيات دوراً مهماً ، وأغدقت الأموال والمناصب على الأصدقاء والمساندين ، وألجمت الأفواه ، وأخمدت النيران . وأصبح في العراق حكم مغلف بالوطنية والعروبة .

---

(٢٤) نفس المصدر السابق ص٣٨٣ .

(٢٥) نفس المصدر والصفحة .

(٢٦) فراتي/ على هامش الثورة العراقية الكبرى ص١٦ .

(٢٧) حسن الأسدي/ ثورة النجف ص٣٨٣ وانظر الحسني/ الثورة العراقية الكبرى ص١٠٠ ، وفريق المزهر/ الحقائق الناصعة ١ : ١٠٤ .

(٢٨) المس بيل/ فصول من تاريخ العراق القريب ط٢ ص٤٤٨ ترجمة جعفر خياط .

(٢٩) محمد علي كمال الدين/ معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م ص١٢١ .

(٣٠) حسن الأسدي/ ثورة النجف ص٣٨٤ .

وبالرغم من جميع النتائج المعاكسة وجثوم كابوس الاحتلال على صدر المدينة الباسلة ، لم تهن ولم تيأس وساهمت مساهمة فعلية في تبديل الحكم الانكليزي المباشر للعراق بحكام عرب .

لقد سادت العراق أفكار متضاربة في اختيار شكل الحكم والادارة في البلد . حتى ان المحتلين أنفسهم اختلفوا في ذلك . فهل يخضع العراق للحكم الانكليزي المباشر أو يقوم فيه حكم جمهوري أو ملكي أو شكل آخر يمكن أن يكون حلاً وسطاً يرضي الثوار والمحتلين ؟ وكان لكل فكرة أنصار ومؤيدون .

ومن خلال ذلك الصراع ، تمت الموافقة على أن يحكم العراق ملك عربي مسلم ، وانتهت الطبخة باختيار (فيصل) لعرش العراق . وكان للنجف ـ تحت تأثير أجواء خاصة ذكرها الأستاذ حسن الأسدي[٣١] ـ أكبر الأثر في اختيار أحد أنجال الشريف حسين ملكاً على العراق . وكان مندوب الثورة للشريف حسين نجفياً .

ولما وصل فيصل العراق عن طريق البصرة ، ووصول ركبه الى الحلة اتجه لزيارة النجف[٣٢] . ثم ان اختيار فيصل ليوم تتويجه كان بتأثير من النجف ـ حسب الظاهر ـ .

ومهما يكن من أمر فيصل ، فإن تحرك هذه المدينة بتلك الصورة كان مقبولاً آنذاك من وجهة النظر القومية والدينية . فالملك الجديد عربي ومسلم . إلا أن تعيينه ملكاً على العراق قد تقرر في مؤتمر القاهرة في آذار ١٩٢١م/ ١٣٤٠هـ الذي عقده المستر تشرشل لحل مشاكل الشرق العربي[٣٣] وخلال الحكم الملكي في العراق حدثت عدة مفارقات وحوادث كان الأحرار لها بالمرصاد . وكان لهذه البلدة صوت مسموع في الأوساط السياسية والشعبية في القطر .

(ففي ٤ آب ١٩٢٢م/ ١٣٤١هـ قامت مظاهرات في النجف ومدن الفرات تطالب بالاستقلال التام . وعقد اجتماع كبير في المشخاب حضره زعماء الفرات الأوسط ورؤساء قبائله وتداولوا في قضية الانتداب والمعاهدة فقرروا ارسال برقيتين واحدة الى فيصل الأول والثانية الى المندوب السامي غير أن زعماء الحركة الوطنية قرروا القيام بمظاهرة كبرى في النجف في يوم الغدير فانعقد مجلس كبير في دار العلامة

الملك فيصل الأول

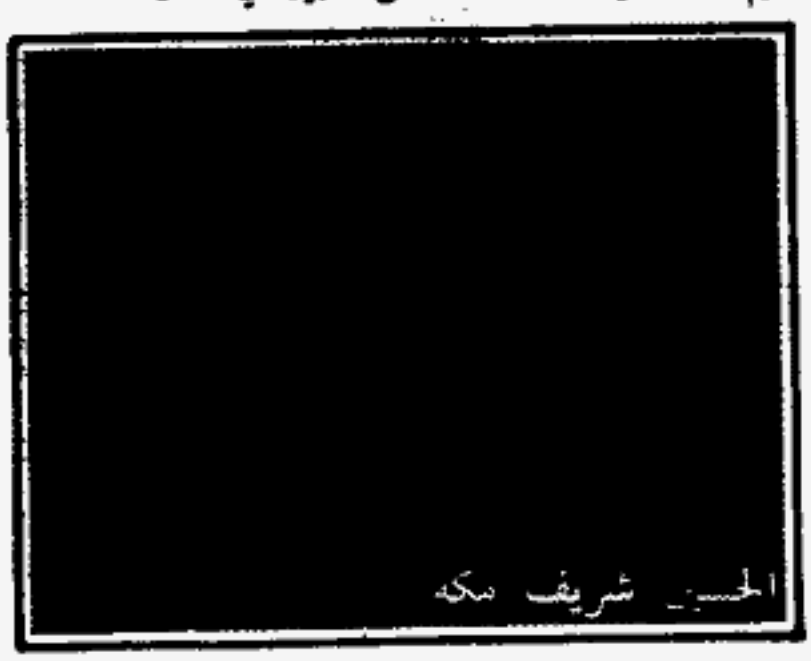
الحسين شريف مكه

(٣١) ثورة النجف ص٣٧٧ ـ ٣٨٠ .

(٣٢) عبد الشهيد الياسري/ البطولة في ثورة العشرين ص٣٤٩ .

(٣٣) حسن الأسدي/ ثورة النجف ص٣٨٠ .

السيد ابي الحسن الاصفهاني في ١٢ آب واستدعي (محافظ) كربلاء عبد العزيز القصاب لحضور الاجتماع .. وفي نهاية الاجتماع تقرر الاكتفاء بتأييد ما جاء في البرقيتين اللتين أرسلتا الى الملك والمندوب السامي في ٤ آب ١٩٢٢م/ ١٣٤١هـ)[٣٤] .

(أما بخصوص انتخابات المجلس التأسيسي ، ولما لم تستجب الحكومة لشروط زعماء الحركة الوطنية فقد تأزم الوضع عندما أعلن رجال الدين في النجف وكربلاء والكاظميين تضامنهم واتحادهم مع زعماء الحركة الوطنية وقرروا مقاطعة الانتخابات ما لم تستجب مطاليب الحركة الوطنية . وأصدرت الهيئة العلمية في النجف فتوى جاء فيها : لا يجوز الانتخاب ومن انتخب خرج من ربقة الاسلام[٣٥] وكان تأثير الفتاوى كبيراً على الجماهير فقد توقفت الانتخابات في أكثر مدن العراق فاستقالت لجان الانتخابات في النجف وكربلاء والحلة والكوفة وأعلن الموظفون في الكاظمية عن فشلهم في تأليف اللجان الانتخابية كما انتشرت المقاطعة في الموصل والعمارة والمنتفك)[٣٦] .

وفي مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣م/ ١٣٤٢هـ طلبت تركيا الحاق الموصل الى أراضيها باعتباره خارج النفوذ البريطاني حين اعلان الهدنة عام ١٩١٧م/ ١٣٣٦هـ واستمرت المشكلة فترة من الزمن وكان للنجف دور في هذه القضية حيث هيأت الرأي العام وأبرقت البرقيات الاحتجاجية الى مختلف الأوساط والمقامات العليا تطلب حسم القضية وعدم التلاعب بالنار والحاق الموصل الحدباء بالعراق حتى قال الشاعر المرحوم الشيخ محمد علي اليعقوبي مخاطباً المجلس التأسيسي :

يا أيها النواب صونوا شعبكم
بالاتحاد وبالحجى والبأس
الموصل الحدباء رأس بلادكم
والجسم يفنى بعد قطع الرأس[٣٧]

وشاركت هذه المدينة أحرار العراق في الوقوف بوجه الأحلاف والمعاهدات الجائرة ، فنظمت التظاهرات ، وأرسل علماء الدين الفتاوى لتأييد الأحرار ، وبرقيات الاحتجاج الى السلطة الحاكمة ، وكان لكل ذلك أثر واضح في حدوث التغييرات وتتابع الوزارات والمجالس النيابية .

لقد وقفت هذه المدينة بوجه معاهدة ١٩٣٠م/ ١٣٤٩هـ وساندت الحركة التحررية عام ١٩٤١م/ ١٣٦٠هـ وشاركت في وثبة كانون عام ١٩٤٨م/ ١٣٦٨هـ وكان لها دور

---

(٣٤) د . عبد الأمير هادي العكام/ الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ ـ ١٩٣٣ ص٨٠ ـ ٨٢ .

(٣٥) قال الاستاذ صالح شمسة : كان نص الفتوى هكذا : (من اشترك فيها «يعني الانتخابات» فقد حاد الله ورسوله) .

(٣٦) د . عبد الأمير هادي العكام/ الحركة الوطنية في العراق ص١١٨ ـ ١٢٠ .

(٣٧) عبد الرحيم محمد علي/ البيان المفيد في رسم خط القرآن المجيد ص٩ .

نشط في انتفاضة تشرين الثاني عام ١٩٥٢م/ ١٣٧٢هـ ونظمت تظاهرات الاحتجاج والاستنكار ضد (حلف بغداد) الاستعماري عام ١٩٥٤م/ ١٣٧٤هـ وفي عام ١٩٥٦م/ ١٣٧٦هـ وعلى اثر الاعتداء الثلاثي على الشقيقة مصر العربية «كانت مدينة النجف الأشرف السباقة الى المعركة[٣٨]... في الثالث والعشرين من شهر تشرين الثاني انطلقت مظاهرة صاخبة يتقدمها رجال الدين . وفي صباح اليوم الثاني زحفت مظاهرة طلابية من مدرستي الخورنق والسدير جابهتها الشرطة بالرشاشات واستمر اطلاق الرصاص على التلامذة الصبيان عشرين دقيقة سقط على أثره عدد من القتلى والجرحى[٣٩] .

واستمرت المظاهرات على الخروج الى شوارع المدينة وساحاتها عدة أيام «ووزع الوطنيون في صباح ٢٨/ ١١ بيان حجة الاسلام كاشف الغطاء (محمد حسين) يندد فيه بسياسة الحكومة أحدث صدى عظيماً بين أبناء المدينة وبين عشائر الفرات الأوسط القريبة منها وعند العصر تجمع الناس في الصحن الشريف حيث تلي عليهم نص البيان ثم انطلقوا في مظاهرة ضخمة جداً اشترك فيها نحو عشرين الف شخص»[٤٠] .

لقد ناضل أبناء العراق نضالاً بطولياً ، وقدموا أجسم التضحيات ، الى أن حان وقت جني الحاصل فكان وفيراً وثميناً حيث حقق الجيش العظيم اليوم العظيم يوم الخلاص من التسلط والتبعية يوم الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨م/١٣٨٧هـ .*

لقد خرج الشعب العراقي كله الى الشوارع والساحات ليعبر عن فرحته بيوم النصر وكانت النجف كذلك تعيش أعراس النصر بالتظاهرات الضخمة ولعدة أيام .

ولا تزال هذه المدينة الى يومنا هذا قاعدة صلدة من قواعد النضال الثوري في القطر العراقي ورافداً غنياً للحركة الثورية العربية .

---

(٣٨) المقصود بالمعركة هنا المعركة الاحتجاجية ضد حكم نوري السعيد .

(٣٩) احرار العراق/ انتفاضة العراق الأخيرة ص٥٢ ـ ٥٣ .

* كان الجنى وفيراً حقا ولكن ليس لابناء العراق المساكين وانما للطبقة الحاكمة وذيولها ويلغنا فيه من الظلم والجور حداً صرنا فيه نترحم على نوري السعيد :

كان نوري السعيد بالأمس فرداً
فغدا اليوم ألف نوري السعيد

ولا والله ما هدأ للشعب العراقي بال ولاذاق طعم الراحة منذ هذا اليوم الذي يسمونه الخلاص :

هذا العراق وكان في
زمن من الازمان بحرا
سنن الوراثة كونت
في طبعه مدّاً وجزرا
متقلب كرياحه
مابين آونة واخرى
متحول كالرمل لاتدع
الرياح له مقرّا
كم حاكم قد حل فيه
اذاق اهليه الامرا

والى الله المشتكى (الموسم)

(٤٠) نفس المصدر ص٥٥ .